رؤية سسيولوجية للمجتمع فى صعيد مصر

من خلال بعض عناصر التراث الشعبى

الأغنية الشعبية - المثل

دكتورة / مديحة أحمد عبادة *

مقدمة فى أهمية البحث :

تعد الأغانى الشعبية شكلا من أشكال التعبير الإنسانى متعدد الجوانب ومتأصل فقد استنتج الدارسون أنها ربما تكون قد نشأت عن إدراك أوائل البشر لأسطورة تأثير الصوت الإنسانى على الحيوانات وامتد ذلك الإدراك إلى الاعتقاد بتأثير هذا الصوت على الظواهر الأخرى .

ونحن حينما ندرس الأغانى الشعبية Folk Songs لا بد أن نلتفت إلى أننا لا ندرسها من حيث كونها ظاهرة طبيعية وبنظرة رومانسية ، بل ندرسها من حيث أن لها مادتها الطبيعية، فهى من نتاج ذوق وخبرة الشعب وتجربته الحسية وليست نتيجة تجربة علمية بمعناها الجامد ، فهى فن مع كونها ممارسة ضرورية وهى إبداع مع كونها استخداما فى الحياة ، كما أنها ليست بمعزل عن سائر مجالات العلوم الإنسانية .

---

* مدرس بقسم الاجتماع بكلية الآداب بسوهاج

وتعد الأغنية الشعبية من أقدم أشكال التعبير التى عبر بها الإنسان عن ذاته ، فالأغنية الشعبية تصاحب الإنسان من المهد إلى اللحد تواكب الإنسان فى موكب الحياة وفى كل مناسبة من مناسبات الحياة داخل البيت أو خارجه فى المناسبات العائلية وفى لقاءات السّمر ، وفى استقبال مولود جديد ، وخلال تهنين الأطفال فى حفلات الخطبة والقران والزفاف ، وفى لقاء عائد أو توديع مسافر ، وفى الاحتفالات الدينية والأعياد ، وفى الراحة والعمل والمناسبات القومية والاجتماعية ، وفى كل شكل من أشكال ممارسة الحياة فى دورتها المستمرة ، يشارك الإنسان فى الإبداع الشعبى لمجتمعه سواء فى أداء جماعى أو أداء فردى ، وهى فى حقيقتها تكامل اجتماعى.

وتعد أيضا الأغنية الشعبية من التعبير الفنى الإنسانى الذى يصدر عن عامة الناس أو هى قصائد منظومة وذات لحن معين تجرى على ألسنة الشعب وترددها الجماهير وتتناقلها الأجيال لتصبح تراثا .

ومع أن الأغانى الشعبية يبدعها إنسان واحد يكون مجهولا فى الغالب إلا أنه يعبر عما يجول فى وجدان الشعب وكأن الشعب كله هو الذى أبدعها ليعبر بها عن عواطفه ومشاعره وأحاسيسه تجاه كثير من المواقف والقضايا الاجتماعية ، ونظرا لهذه الخاصية التى تميز الأغانى الشعبية ، فقد اعتبرها علماء الاجتماع والأنثروبوجيا مصدرا مهما من مصادر المعلومات الخاصة بأحوال المجتمع وثقافته ، وبخاصة المجتمع الزراعى وأداة مهمة من أدوات البحث والتحليل . ويؤكد العلماء أنها تعكس الواقع الاجتماعى فى المجتمع وتصوره وتصفه بدقة لكونها تمدنا بمعلومات غزيرة عن كثير من النظم الاجتماعية التى تنتجها الشعوب والجماعات البشرية (١) .

ولو حللنا الأغانى الشعبية وما تنطوى عليه من مضامين وتعبيرات اجتماعية لوجدنا أنها تكشف عن كثير من خفايا التفاعل الاجتماعى والاتجاهات الشعبية والمعتقدات الشعبية تجاه العالم الخارجى والعالم فوق الطبيعى (٢) .

والباحث الفولكلورى حينما يدرس الأغنية الشعبية يدرسها لا كمظهر من مظاهر التعبير الفنى لدى المجتمع فحسب ، ولكن يدرسها كوظيفة يمارسها المجتمع يحقق بها وعن طريقها إضافات جديدة للحياة ، كما أنها تعبير ضرورى عن احتياجات الإنسان مثل الاحتياجات المادية والروحية والتنظيمية (نظم المجتمع) واللغة ، وتعتبر دراسة الأغانى الشعبية وسيلة من وسائل التعرف على أسلوب التفكير العام للشعب واعطاء بعد من أبعاد معرفة ايديولوجية الأمة وفلسفتها التى هى جماع الفكر والحس والوجدان (٣) .

أهداف وتساؤلات الدراسة :

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أهمية الأغانى والأمثال الشعبية كمصدر مهم من مصادر المعلومات عن المجتمع وكأداة من أدوات البحث والتحليل وذلك فى ضوء التعميمات التى تشير إلى أن الأغانى الشعبية تعكس خصائص الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية فى المجتمعات الريفية على وجه الخصوص وتمكننا من الوقوف على أدق تفصيلاتها نظرا لتنوعها وغزارة مضامينها الاجتماعية التى تتصل اتصالا وثيقا بقطاعات من الكيانات الاجتماعية .

وترتبط بأهداف هذا البحث مجموعة من التساؤلات التى تحاول الدراسة أن تجيب عنها وهى :

١- كيف توضح الأغانى الشعبية أهمية الإنجاب وما يرتبط به من مظاهر احتفالية فى مجتمع البحث ؟

٢- إلى أى مدى يؤدى التباين فى النوع (ذكر - أنثى) من تباين فى نوعية المعاملة ؟

٣- ما هى المظاهر الاجتماعية للزواج من (خطبة وعقد قرآن - وحنة وزفاف) فى مجتمع البحث؟

٤- ما هى الصفات التى يفضلها الأفراد عند اختيار شريك الحياة فى مجتمع البحث ؟

٥- ما هى عادات وتقاليد الوفاة فى مجتمع البحث ؟

٦- إلى أى مدى تعكس الأغانى الشعبية صورة النشاط الاقتصادى وما يرتبط به من مظاهر خاصة بالإنتاج والعمل وحب الأرض وأهمية المحصول والادخار والإسراف ...الخ ؟

٧- إلى أى مدى تعكس الأغانى الشعبية صورة الحياة الدينية لدى الأفراد فى مجتمع البحث وما يرتبط بهذه النظم من قيم إيجابية وسلبية ؟

منهج الدراسة :

تعتمد الدراسة على المنهج الأنثربولوجى كإطار منهجى ملائم لأهداف الدراسة وتساؤلاته ، وذلك من خلال الاعتماد على الأدوات والأساليب الأنثربولوجية المتمثلة فى (المعايشة – الملاحظة – المقابلة – الإخباريون) ثم الاستعانة بهذا المنهج فى التعامل مع النصوص الغنائية التى تم جمعها من أفواه الناس مباشرة فى مجتمع البحث لكى يمكن الوقوف على أوجه التكامل والترابط بين نظم المجتمع وعناصره الثقافية المختلفة التى تعكسها التعبيرات أو المضامين التى تشتمل عليها الأغانى الشعبية ، وهذه هى النظرة التى يستند إليها هذا المنهج فى رؤيته للظواهر والنظم الاجتماعية القائمة فى المجتمع .

مجتمع الدراسة :

وقع الاختيار على قرية "برديس" وهى تقع فى نطاق مركز" البلينا بمحافظة سوهاج، وترجع مبررات اختيار هذه القرية كمجال جغرافى للدراسة ، إلى اختلاط الباحثة بأهل هذه القرية والمعيشة معهم ، إلى جانب اشتهارها بالغناء الشعبى .

المفاهيم :

ومن المفاهيم الرئيسية التى يعتمد عليها هذا البحث المأثورات الشعبية – الأغنية الشعبية– المثل .

المأثورات الشعبية :

وفى هذا البحث يعنى مفهوم المأثورات الشعبية هو ذلك التراث الشفهى من ثقافة المجتمع والذى يمثل بالفعل الأدب الشعبى . وإذا قلنا الأدب الشعبى ينصرف المفهوم إلى الأدب التقليدى أو ما يسميه البعض بالأدب الفولكلورى ، فكلمة شعبى فى البحث الحالى ترادف فولكلورى .

ومصطلح (فولكلور) المكون من الكلمتين (فولك) بمعنى الناس أو عامة الشعب و(لور) بمعنى المعرفة أو الحكمة فقد أنشأه لأول مرة الكاتب الإنجليزى وليام جون تومز واقترح استعمال هذا المصطلح كاسم لحقل يشمل دراسة العادات والتقاليد والممارسات والخرافات والملاحم والأمثال .

ويرى د. الجوهرى أن اسم فولكلور يطلق على التراث الروحى للشعب خاصة التراث الشفهى (٤) .

وتعريفنا الإجرائى للمأثورات الشعبية هو (فن القول التلقائى العريق المتداول بالفعل المتوارث جيلا بعد جيل والمرتبط بالعادات والتقاليد .

الأغنية الشعبية :

الحقيقة أنه من الصعب ان نعرف على وجه الدقة صيغ مصطلح "الاغنية الشعبية" وإن كان يبدو أن المصطلح الالمانى (Velkslied) الذى استخدمه "هردر" Herder فى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر هو الذى ترجم بعد ذلك إلى مختلف اللغات يعنى الأغنية الشعبية(٥) .

والأغنية الشعبية هنا هى التى توصف بأنها "فولكلورية" مرتبطة بالتراث الشعبى الحى والتى تندرج تحت مصطلح "المأثورات الشعبية" وهى التى اشترك فى صياغتها لتعبر عن ذاته وأصبحت من نتاج الجماعة وملكا لها وإن كانت فى الأصل هى إبداع فرد واحد ، ولكن لحظة إبداعها الفردى كانت هى نفسها لحظة تبنيها من الجماعة وتنحيتها وصياغتها فى شكل نهائى يعبر عن ذوق الجماعة وفكرها حتى أصبحت ملكا لها كما تناقلتها الأجيال

كل جيل يضيف شيئا أو يحذف أشياء حتى صارت تعبيرا حيا عن الجماعة الإنسانية فى صياغة محلية(٦).

المثـــل :

ويعرف المثل بأنه القول الجارى فى ألسنة الشعب الذى يتميز بطابع تعليمى وشكل أدبى مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوف (٧) .

والمثل الشعبى كما يعرفه "زايلر" عبارات متداولة بين الناس تتصف بالتكامل ويغلب عليها الطابع التعليمى وتبدو فى شكل فنى أكثر اتقانا من أسلوب الحديث العادى ، و"زايلر" بتعريفه هذا يخرج العبارات التى تشبه الأمثال الشعبية عندما لا تكون متكاملة فى نفسها وعندما لا تتوافر فيها مقومات التعليم .

ويعرفه أيضا "ارشر تايلور" بأنه جملة مصقولة البناء تشيع فى مأثورات الناس باعتبارها قولا حكيما (٨) .

وتذهب المصادر العربية إلى أنه نوع من أنواع الأدب ويمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى. ولطف التشبيه وجودة الكتابة (٩) .

وتركز هذه التعاريف على عنصرين أساسيين وهما شكل المثل ووظيفته .

وتعد أمثال كل أمة مصدراً هاماً للمؤرخ الأخلاقى والاجتماعى يستطيع منها معرفة الكثير من أخلاق الأمة وعاداتها – كما نستطيع أن نفهم من الأمثال مبلغ إدراك الأمة للأشياء وما تثيره فى أنفسهم من معان (١٠) .

والحكمة تحتوى على فلسفة أعمق من أن يدركها البعض ، كما أنها مصوغة فى أسلوب أدبى رفيع مما يجعل استخدام الشعب لها أقل من استخدامه للأمثال ، فإن هذا يوضح سر استحواذ الأمثال على مثل هذه الشعبية وعلى استخدامنا لها فى مناسبات خاصة.

وإن دراسة الأمثال وأصولها بشكل واسع يؤكد لنا عدة قضايا هى :

١- إن انتشار الأمثال الواسع ومجهولية مؤلفيها معظمها ووضوح الآثار القديمة بها - كل ذلك خلق وهما لدى بعض الباحثين للقول "بعالمية" كل الأمثال وتأثيرها ، وفى رأى أن هذا وهم خاطئ لأن الأمثال تختلف فى نشأتها سواء من حيث الزمان والمكان وكذا فى الأوضاع الاجتماعية والمصادر التى أسهمت فى خلق هذا القول أو ذاك .

٢- كثير من الأمثال ... للملاحظة ... الحقيقة ...

٣- تقدم الأمثال مادة غنية لإعادة تركيب الآراء والمعتقدات القديمة لما حفظته فيها من كثير من البقايا الثقافية بفضل شكلها المتقن (١١) .

وتعريفنا الإجرائى للمثل هو : عبارة قصيرة تلخص حدثا أو تجربة منتهية وموقف الإنسان من هذا الحدث أو هذه التجربة فى أسلوب غير شخصى وهو تعبير يأخذ شكل الحكمة التى تبنى على تجربة أو خبرة مشتركة .

وفى هذا البحث نقوم بدراسة المظهر السلوكى لقيم الشعب الاجتماعية (فى صعيد مصر) أى دراسة تقاليده وعاداته الخاصة بدورة الحياة وذلك من خلال أغانيه الشعبية وأمثاله ، ولنبدأ ببداية دورة الحياة وهى الميلاد :

الميـــلاد :

يعتبر الحمل والولادة فى المجتمع الشعبى الهدف الأول والأخير للزواج وتفسير ذلك يعود إلى طبيعة وسائل الإنتاج ، فالأرض تكاد تكون مصدر الرزق الوحيد ويحرص الإنسان على إنجاب الأبناء ليرثوا الأرض من بعده ليعملوا بها ويعينوه فى شبابه ولينفقوا عليه من ثمرها فى شيخوخته ، وبدون الأولاد فإن الإنسان يترك أرضه لتنتقل للآخرين ، وهكذا فلا معنى لوجود زوجة عاقر ، فإنجاب الزوجة للأولاد يزيد من ثقتها من أنها مصدر خير وبركة لزوجها إذ إنها تمتد بنسله وتؤكد وجوده فى الحياة وتبرر سعيه وراء لقمة العيش والرزق .

وليس غريبا أن تحزن المرأة كل الحزن وبخاصة فى صعيد مصر إذا انقضت عدة شهور بعد زواجها ولم تظهر عليها أمارات الحمل ، والمرأة فى الريف لا تلجأ إلى الطبيب فى هذه الحالة ، وإنما تلجأ إلى الساحر الذى يفك عقدتها وتلجأ إلى زيارة أضرحة الأولياء وتقديم النذور وزيارة قبور الموتى ، وترجع هذه المعتقدات إلى العصور الفرعونية القديمة ، ففى كثير من المخطوطات المصرية ما ينم عن إلحاح المصريات على توقى العقم عن طريق الالتجاء أهل الطب وإلى أهل السحر حينا ثم إلى فيض الآلهة ، ومن يتوسمن فيه إرادة الخير من الموتى حينا آخر(١٢).

وتتضمن الأغنيات الشعبية كثيرا من التعبيرات التى تدل على أهمية الإنجاب فى المجتمع الشعبى ، وهى كالتالى .

يا عروسة خشى الرواق والسعد قدامك ... وتبكرى بالولد وتعمرى ديارك
طالبة العوض يا رب يجود عليها ... سبع ولاد يترصصوا حواليها
هى القمر وهم النجوم حوليها ... طالبة العوض يا رب إديها

ومن الأمثال الشعبية التى تدعم قيمة الإنجاب فى المجتمع الشعبى :

"جر السحلية ولا قطع الذرية" ..... "إلولاد عزوة" .

ويعد حدوث الحمل من الاحداث ذات الدلالة والقيمة التى تستحق العناية والاهتمام ويتجلى ذلك فى كثير من الأغنيات الشعبية والأمثال ، ويختلف إعلان الحمل

وطريقته حسب طول فترة الزواج ونمط الأسرة التى تعيش فيها الزوجة ، حيث يتم الإعلان فور حدوثه فى حالة الأسرة الممتدة التى تضم "السلايف" أو حالة تأخر حدوثه فترة زمنية طويلة ، كما قد يتم تأخير الإعلان بالنسبة للجيران والأهل خوفا من الحسد . ومن الأغنيات الشعبية الدالة على ذلك ، هذه الأغنية :

قبل ما يجى كان قلبى خايف — لما عطانى ربى ساويت السلايف
قبل ما يجى كان قلبى خيفه — لماعطانى ربى ساويت السليفة
ماعايزه حلق ولاسواره — عايزه ولد لمساوية الجارة

وتتميز فترة الحمل أيضا لمحاولة التنبؤ بجنس الوليد ، وترجع هذه المحاولات إلى القيمة التى يضعها المجتمع للذكورة كأهم خبر يترقبه أفراد الأسرة بمجرد أن تضع الوالدة وليدها هو جنس المولود من حيث كونه ذكراً أو انثى ، يصل هذا التفضيل إلى درجة أن "بعضهم يملؤه الحزن إذا ولدت له أنثى ، أما الصبى فالكل يفرح ويتهلل لمقدمه (١٣) وتطلق الأعيرة الناريه فى اليوم الأول تعبيرا عن هذا الفرح .

ولعل تفضيل الذكور على الاناث سمة اساسية من سمات المجتمعات الزراعية ذلك لأن هذه المجتمعات بحاجة إلى الذكور كقوى بشرية عاملة ، بالإشارة إلى أن إنجاب الذكور تخليد لذكرى الأب بعد مماته ، وهناك مأثورة تدعم هذا الاتجاه تقول "من خلف ما مات" ويقصدون بذلك إنجاب الذكور .

ويرى أفراد المجتمع المبحوث أن المولودة الأنثى عب ثقيل عليهم نظرا لما تتطلبه المرأة أو الفتاة من رقابة مستمرة على سلوكها وتصرفاتها خوفا من أن يمس شرفها أو عرضها والمحافظة على شرف الفتاة ليس مسئولية الأهل وحدهم بل هى مسئولية العائلة ككل وربما مسئولية القرية بأكملها .

ومما هو جدير بالذكر أيضا أن موضوع حرص الوالدين على "خلفة" الذكور قد يكون متأصلا فى المجتمعات الأبوية التى تقوم على سيادة الرجل وارتفاع مكانته مما يؤدى إلى ظهور الصورة السلبية للمرأة لدى أفراد هذه المجتمعات ، كما أن المرأة فى كثير من

الأحيان تؤكد استمرار هذه الصورة ، وهذه المعتقدات بتمسكها وحرصها عليها ، ولانعنى بهذا أن تكون المرأة بالضرورة على وعى بدوافع تمسكها بهذه المعتقدات ، ولكن نتيجة التطبع الاجتماعى وعوامل الخوف التى غالبا ماتكون مهددة لحياتها الزوجية بسبب بعض النظم الاجتماعية والقانونية التى تقف بجانب الرجل وتعطيه الحق فى الزواج بأخرى لينجب منها الذكر .

وتضمنت الأغانى الشعبية كثيرا من التعبيرات التى يتم فيها الدعاء لمن لم تنجب بإنجاب الذكور وليس الإناث :

عقبال العوض يا صبية ... يديكى ولد يا صبيه واتنوميه على الناموسية
عقبال العوض يا صبية ... واتجيبى ولد يا صبية وتفرحى به الليلة ديه
عقبال العوض يا صبية

ومن الأغانى الشعبية التى تتضمن تعبيرات تفرق بين الذكور والإناث ، هذه الأغانى :

ولما جالو جا ولد ... انشد ضهرى واتسند
وجابولى الفوره بالسمن ... وقالوا لى كلى يا أم الولد
ولما جالوا بنيّه ... حسيت الحيطة وقعت عليّه
وعملولى الفوره باليّه ... وقالوا لى كلى يا أم البنيّه

وفى رواية أخرى لهذه الأغنية :

ولما جالو جا ولد ... انشد ضهرى واتسند
وجابولى الفطير بحياق ... وعليه سمن البلد
ولما جالوا ده غلام ... انشد ضهرى واستقام
فتوا لى الفطير بالدهان ... وقالوا كلى يا أم الغلام
ولما جالوا دى بنيّه ... وقعت الحيطة عليّه
وعملولى الفطير باليّه ... وجالوا لى كلى يا أم البنيّه

ومن الأمثال الشعبية التى تدعم اتجاه المجتمع فى التفرقة بين الذكور والاناث مايلى :

"أم الغلام تستاهل الإكرام" ، "خير الذرية ولدين وبنيّه ، "موت البنات سترة" ، "عقربين فى خيط ولا بنتين فى بيت" ، من كتر بناته صارت الكلاب صهراته" ، "أم البنات عايلة الهم للممات" .

ورغم أن الذكور مفضلين على الاناث كوارثين لاسم العائلة ولشخصيتها وكمسعفين لاحتياجاتها الاقتصادية فإن ذلك لايعنى الانتقاص من حق البنات وإساءة معاملتهن بل تجد البنت البكر عطفا كبيرا ويتفاءل بقدومها ، وهناك مأثورة شعبية تدعم هذا الاتجاه وتقول : "اللى يسعدها زمانها تنجب بناتها قبل صبيانها" .

ومن الأغانى الشعبية فى هذا الشأن هذه الأغنية :

لما جالوا دى عروسه ادى المبشر جاموسه وجابولى العسل ويا الحلبة حتى المعالق منقوشة
لما جالوا دى بنيّه قلت الحبيبه أهى جايه تغسل لى وتطبخ لى وتملى البيت عليّه

ويرى الدكتور "الجوهرى" أن الامثال التى تحبب فى إنجاب البنات إنما هى دليل يؤكد القاعدة الأولى ولاينفيها فهى تؤكد تعاسة المرأة التى تلد بنتا وتنبهنا إلى أن المجتمع انما ابتكر تلك العناصر الشعبية لكى يخفّفف عن هذه المرأة ويواسيها (١٤) .

وهناك من الاغنيات الشعبية التى تحتوى على مضامين توضح مواساة المجتمع الشعبى للزوجة التى تنجب بنات وتقول هذه الأغنية :

ماتفرحيش يا أم الولد بكره البنيّه تخده وتخلى عيشتك نكد واللى فى جيبه تخده
وتندمى على خلفته وتقولى يارب تخده ماتفرحيش ياأم الولد وأنا منك واخده
نبقىنحل فى صرايره وانت بعينك شايفه ماتفرحيش ياأم الولد وأنابنتى زين وتعجبه
تبنى له بيت قبلىالبلد تحرم عليكى دخلته
ماتفرحيش ياأم الولدأنا بنتى زينه وتاخده تبنيله بيت بحرى البلد تحرم عليكى حاجاته

وفى مجتمعنا نلاحظ أن إنجاب الأطفال يدل على رجولة الزوج ، كما يدل على أنوثة الزوجة وقدرتها على الإنجاب ، فالإنجاب يكسب الزوج مكانة اجتماعية جديدة هى مكانة الأب ، ويترتب على ذلك حقوق وواجبات جديدة وهو يكسب الزوجة مكانة اجتماعية جديدة هى مكانة الأم ، ويترتب على ذلك حقوق وواجبات جديدة (١٥) .

ويتفق هذا مع ما توصلت إليه "جوديت" من الإنجاب بالنسبة للمرأة يعنى اكتمال أنوثتها وعدم دونيتها عن غيرها من النساء وهو أيضا أهم ما تحتاج إليه لتحصل على تقديرها لذاتها حيث إن إثبات الذات بالنسبة للإنثى لايكون من خلال العمل أو الحياة الاجتماعية ، بل يكون من خلال الدور الأنثوى الأمومى فقط (١٦) .

ومن الأمثلة الشعبية التى تدعم كثرة الأبناء وتحض على الإنجاب :

"حبلة ومرضعة وقدامها أربعة وطالعة الجبل تجيب دول للحبل وتقول ياقلة الذرية" ، "أم واحد ربنا محيرها وأم عشرة ربنا مدبرها" ، "خلف العيال يذل السبع لمراته" ، أمشى وأهز اكتافى واحد حنين وواحد جافى"

السبـــوع :

ويلاحظ أن أهم طقوس مابعد الولادة مايحدث فى يوم السبوع فالأغلبية الساحقة من المصريين على اختلاف مكاناتهم ومستوياتهم الاقتصادية والثقافية يحتفلون بـ (سبوع المولود) كل حسب إمكاناته ومقدرته . يلخص هذا الاحتفال فيما يأتى :

- قبل أن يتم الطفل يومه السابع (أى فى اليوم الثالث) يتم تكحيل الطفل اعتقادا من الأفراد فى المجتمع الشعبى أن الكحل يقوى النظر ، وايضا يقلل من احتمالات إصابة العين .

وتقال هذه الأغنية :

سـقيت عينـك اليمـين	محبـة فـي رب العـالمين
سـقيت عينـك الشـمال	محبـة فـي رب الرحمـن
كحلتـك يـا حلـى	يكفيـك شـر القـل
كحلتـك يـا حـلالى	يكفيـك شـر الحـرام
كحلتـك باليـم	يكفيـك شـر الهـم

– وفى اليوم السادس للوضع ليلا توضع "قلة السبوع" إذا كان المولد بنتا (عند بعض الأسر التى أنجبت ذكوراً وتكون فى اشتياق إلى إنجاب البنات ، ولكن بالنسبة للفتاة فى صعيد مصر وفى هذه القرية – مجتمع البحث – لا يهتم أفراده بعمل سبوع للفتاة) . أو بوضع إبريق السبوع إذا كان المولد ولدا ، فى صينية كبيرة يوضع بها ماء استحمام الطفل ويوضع فيه قدر من حب الفول وذلك تيمنا به (يلاحظ أن حبة الفول يوجد بها علامة سوداء تشبه حرف الألف : أول حرف للفظ الجلالة ا لله) . ومن الأغانى التى تقال عندما يلبس الطفل ملابس جديدة بعد الاستحمام هذه الأغنية الشعبية :

لبسـتك خلقـاتك . والعافيـه جـاتك	لبسـتك ملبوسـك . والعافيـه تبوسـك
لبستهولك من ديله . وتعيـش وتـدوب غيره	لبستهولك من كتفه. وتعيش وتدوب خلفـه
لبستك هدومـك . والعافيـه فـى قدومـك	لبستك حرزين . حرز الحسن وحرز الحسين
لبسـتك الحريـر . تعيـش وتكسـب كتـير	لبستك كتان . تعيش من غير ديان (الديـن)
لبستك القطيفه . تعيش وتكبر ياابن الشـريفة	لبستك من اليمين . يجعلك من الميمونين
لبستك من الشمال . تعيش فى عـال العـال	

ويوضع فى القلة أو الإبريق "شمعة كبيرة" وعدد من الشموع الصغيرة حولها وتشعل الشموع وتظل مضاءة الى أن تنطفئ من تلقاء نفسها ، ويرى أفراد المجتمع الشعبى أن إضاءة هذه الشموع فى هذه الليلة لحماية المولود من الجن والعفاريت ، فالنار أيا كان مصدرها هى قوة حامية وحافظة للطفل من الأرواح الشريرة ، ومع القلة أو الإبريق والشموع يهتم أهل المولود بإحضار سبع عينات من الحبوب عادة من العدس واللوبية والأرز والحلبة والقمح

والفول، ويضاف إليها كمية من الملح وتوضع هذه الحبوب ومعها الملح وقطعة من الخبز فى كيس قماش صغير ويحيطه أهل المولود على شكل حجاب يوضع تحت رأس المولود من أجل حراسته وتوضع أيضا تحت المخدة بعض الخضراوات ويرى أهل المولود فى هذا العمل أن ملحه يحرسه ، ونلاحظ هنا حرص أفراد المجتمع الشعبى على استخدام الملح فى تلك المناسبة السعيدة وذلك اعتقادا منهم أن الملح يفسد أثر العين الحاسدة وربما يرجع هذا الاعتقاد إلى قوة الملح الساحرة أى أن الملح الذى يمنع فساد الاطعمة يقى عن طريق سحر المشاركة الشخص أو الشئ الذى تقع عليه العين الحاسدة .

وربما يرجع هذا إلى الملح يحدث فرقعة إذا وضع فى النار وهذه الفرقعة فى نظر العامة تمثل فرقعة العين الحاسدة ، ويبدأ الحفل عادة بإطلاق البخور ثم تزف الأم وهى حاملة طفلها ويسير وراءها أطفال البيت وأطفال الجيران يحملون الشموع المضيئة ويغنون أغنية السبوع مع الدق فى الهون .

وبعد الزفة تدخل الأم فى الحجرة التى يتم فيها السبوع ويوضع المولود أو المولودة فى غربال ، وتقوم الام بتخطية المولود سبع مرات ، وتهز برفق الغربال فى الوقت الذى يرش فيه الملح ، ويصاحب الهز فى الغربال دق الهون ، وتقول النساء والأطفال مع ارتفاع الزغاريد هذه الأغانى :

برجالاتك برجالاتك.حلق دهب فى وداناتك	الله أكبر الله أكبر . واشهد ألا اله إلا الله
مسلم من ضهر مسلم . ومن بطن مسلمة	إن قالولك شرّق شرّق.وان قالولك غرّب غرّب
اسمع كلام أبوك . اسمع كلام جدك	اسمع كلام أمك . والعافيه تضمك
اسمع كلام عمك . واوعه حد يهمك	اسمع كلام خالك . يصلح الله بالك
اسمع كلام عماتك. الهم فاتك	اسمع كلام خالاتك .عيتعشى رجالاتك

ويذكر لنا أفراد مجتمع البحث أن الأصوات التى يحدثها المحتفلون بالسبوع بالدق فى الهون هو الرغبة منهم فى تعويد الطفل على الضوضاء وعلى الأصوات لكى لا يفزع عندما يسمع صوتا مرتفعا .

والواقع أن إحداث الأصوات العالية له معلوم من دراسة تاريخ الثقافة وهو طرد للقوى الشريرة وابعادها ، فالصوت يؤدى هنا نفس الدور الذى تؤديه النار ويؤديه الملح فى دفع الأرواح الشريرة واتقاء خطرها وهو معروف فى ثقافات عديدة (١٧) .

ومن العادات والتقاليد الشعبية المتعلقة بالطفل فى اليوم السابع حلق شعر البطن عند ضريح ولىّ من الأولياء وتقديم الأطعمة بهذه المناسبة وتحنيك المولود وتوزيع عقيقة شكرا لله على نعمة الولد .

ومن المعروف أن لتسمية للطفل أهميتها لدى أبويه ولها أثر فى الطفل ذاته لذا نجد من العادات الاجتماعية المتبعة أن المولود حين يولد يختار له أبواه اسما يعرف به ويتميز لدى الجماعة لدى العامة والخاصة ويحرص الاهل فى العادة على اختيار اسم لوليدهم كشخص عرف عنه التقوى أو الصلاح أو النجاح أو العمر المديد .. الخ .

وشاعت بين أسماء المواليد أسماء عبرت عن روح التدين فى أسرهم أصدق تعبير ، لهذا يطلق على الأطفال الذكور المسلمين أسماء الرسل وأهل بيته وتسمى البنات بأسماء بنات النبى وزوجاته أو تسميته باسم أحد جديه أو والديه أو باسم الحاكم أو باسم أحد المشهورين أو تسميته باسم يعتز به أو باسم يبعد عنه الحسد وعين الشر وتسميته بصفة جسميه تميزه وتسميته بما يعبر عن وضعه بين أخواته ويميزه عنهم كأن يكون ذكرا وحيدا بين إناث أو أنثى وحيدة بين ذكور أو يكون أول من أنجبه أبواه بعد عقم طويل واشتقاق اسمه من ظروف ولادته أو عبارة نطقت بها أمه حين ودلاته ، وتسميته بيوم مولده أو باسم مناسبة دينية أو وطنية ولد خلالها .

ولا تنتهى الاحتفالات بالطفل عند هذا الحد ولكن هذه الاحتفالات تستمر حتى يشب الطفل عن الطوق ويكاد يدخل فى عداد الرجال وفى أثناء هذه الفترة يعيش الطفل مناسبات كثيرة منها مناسبة الختان .

الختـــان :

الشائع أن يتم الختان للذكور ، أما ختان البنات فهو أقل انتشارا والنظرة الدينية اليها تختلف ، ذلك أن ختان الولد أوجب والاتفاق عليه أكبر بين الفقهاء ، والختان عادة فرعونية قديمة ، ويقول فى ذلك "هيرودوت" أن الذين زاولوا الختان منذ أقدم العصور هم المصريون والآشوريون والأحباش ، أما غيرهم من الشعوب فقد عرفوه عن المصريين وكانت عملية الختان تجرى للأولاد غالبا بين السادسة والثانية عشرة من أعمارهم فى المعابد ومع ذلك فإنها لم تكن فرضا على الشعب كما صارت فيما بعد عند اليهود أو سنة عند المسلمين(١٨) .

وينعكس إعلاء قيمة الذكورة فى العادات والتقاليد المصاحبة لإجراء الختان ، ويقارب الاحتفال بالختان احتفال الولادة والزواج ، كموكب العريس ، ولكن بشكل مصغر والطفل المختون عريس كما يسميه أهله والمحتفلون به والزفة تعنى - علاوة على إظهار الفرحة - الإشهار لهذا الطفل بأنه قد بلغ اليوم مبلغ الرجال وتتفاوت عناصر الاحتفال من زينة الطفل وهيئة ركوبه والمأكولات والمشروبات التى توزع وعدد المشتركين والعناصر الموسيقية والغنائية ..... الخ ، تتفاوت كل تلك العناصر الاحتفالية حسب مكانة الطفل المحتفى به داخل أسرته وحسب مكانة تلك الأسرة داخل المجتمع .

وختان الصبى مناسبة يسعد بها الأهل والأقارب وكثيرا ماتتم هذه العملية فى أثناء الاحتفال بموالد الأولياء خوفا من الحسد والعين الشريرة ، وهناك وصف لحفل الختان يذكره أفراد مجتمع البحث يوضح أهمية الختان فى هذا المجتمع : ففى الليلة التى تسبق ليلة الختان يحضر الحلاق ويحمى الطفل المختون لكى يتأكد من نظافته عند القيام بعملية الختان... وتعطى للحلاق مبالغ نقدية تعدّ دينا على أسرة المختون ترد فى ماسبات مماثلة ، وتعدّ وليمة فى هذه الليلة فتقوم أسرة المختون بذبح عدد من الذبائح ، وتتم الدعوة اليها من والد المختتن أو عمه ، وتغنى فيه الأغانى من أهل المنزل والحاضرات أثناء إعداد الطعام، ويخضب كفا يديه وقدماه بالحنة ويعلق فى كتف الطفل قطعة صغيرة من جريد النخيل يبلغ طولها حوالى ١٠سم وتكون مربوطة فى خيط كالدبارة تنزل من أحد كتفى الطفل متقاطعة

مع جسده حتى تصل الى وسطه على الجانب الآخر وتظل معلقة على هذا النحو طوال أيام ختانه حتى يشفى تماما وتعتقد بعض الأسر أن هذا من شأنه رفع الأذى عن الطفل ويجنبه حدوث ،ضاعفات فى موضع الختان .

وفى اليوم التالى يحضر الحلاق ومعه الأوات اللازمة لإجراء الختان ويلبس الطفل المختون جلبابا أبيض وطاقية بيضاء ويجلس الطفل على مكان مرتفع ويقوم الحلاق بإجراء الختان ، ويأتى الأهل والقراب لتهنئة المختون وإعطائه الهدايا (النقوط) .

وتكثر الاغانى التى تغنى بهذه المناسبة وتتنوع ومنها :

زينه يامزين على كرسى ذهب — واد عيلك الشرف ومشايخ البلد
زينه يامزين على كرسى حديد — واد عيلك الشرف و مشايخ الصعيد
زينه يامزين وخليلو حته — واحرسوا يارب خيّ البنته
زينه يامزين وخليلو شراته — وحاسب يامزين ده خيّ التلاته
زينه يامزين تحت السجيفه — وحاسب يامزين دا زينة الخليفه
زينه يامزين تحت الليمونه — واحرصه ياربى ده الناس عايرونا

★★★★

لالى يامزين لالى — سمعنى عياط الغالى
وادى امه قاعده متكيّه — لابسه الكردان أبو ميّه
وادى ابوه ماسك الصنيه — يفرق شربات الغالى
لالى يامزين لالى — سمعنى عياط الغالى

دخل الجنينة يامزين هاته — واحلف عليه ولبسه خلقاته
دخل الجنينة يامزين حوشه — واحلف عليه ولبسه طربوشه

الـــزواج :

يتضح لنا من الأغانى الشعبية السائدة فى مجتمع البحث أن الأسلوب السائد فى الاختيار للزواج هو الأسلوب الوالدى بأوضح معانيه والذى تظهر فيه سيطرة الأم بصفة خاصة على الاختيار ، أى أننا لانستطيع أن نطلق عليه الأسلوب الأبوى فى الاختيار للزواج وهو لايعترف بميول العروسين المنتظرين كل نحو الآخر ولايؤخذ برأيهما فى ذلك القرار المصيرى الذى يتخذه أشخاص آخرون مع أنه يتعلق بأهم حادث فى حياتهما معا بل إن كثيرا منهم لايرى كل منهما الآخر إلا فى ليلة الزفاف .

وتلزم العادات السائدة فى مجتمع البحث أم الشاب باختيار الفتاة على حين تحرّم هذا الاختيار على الشاب نفسه ، فرأى أم الشاب أهم من رأى ابنها لأنها تمثل الأسرة ، أما ابنها فهو مجرد فرد مطموس فى شخصية الأسرة كجماعة ، ويعنى ذلك أيضا أن الأم عند اختيارها للفتاة لاتضع فى المحل الأول مصلحة ابنها من حيث ميله أو عدمه للعروس مثلا ، بل تنظر إلى مصلحة الأسرة كأسرة فتضع فى الاعتبار انسجام الفتاة معها أولا ومعاشرتها لها شخصيا وضمان طاعتها وخدمتها لها وتعاونها واشتراكها معها فى حمل أعباء الأسرة ، أى أن قيمة المعروض ترتبط بالقيم النفعية والاقتصادية للأسرة .

ومن الأغانى الشعبية التى توضح دور الأم فى الاختيار هذه الأغانى :

يامّا اخطبيلى اللى عيونها كحيلة — خطبتلك اللى رجالها كتيرة
يامّا اخطبيلى اللى عيونها عسلية — خطبتلك اللى رجالها ميّة
يامّا اخطبيلى اللى عيونها نعسانة — خطبتلك اللى رجالها يامه
يامّا اخطبيلى اللى هوايه فيها — خطبتلك اللّه يهنيك بها

وتعبر الاغانى الشعبية تعبيرا مباشرا عن عادات اجتماعية تحكمت فى الريف منذ القدم وماتزال تتحكم فيه حتى اليوم ويمكن أن نلخص تلك العادات والقيم فى الآتى :

الزواج المبكـــر :

فمن أهم الأسباب التى تدفع أهل الريف إلى تزويج الفتيات والشبان فى سن مبكرة هو ستر عرض الفتاة على حد تعبيرهم وصيانة الشباب من الوقوع فى الفتنة والإغراء ، وهناك سبب آخر هو بساطة الحياة الريفية الامر الذى لايكلف الزوج الكثير من النفقات فى حياته الجديدة ، فالزوج يعيش مع أسرته الممتدة التى تتحمل معه تكاليف المعيشة (١٩) .

وبقدر ما للزواج المبكر من قيمة عالية عند الريفيين ، فإن تأخّر سن الزواج ينظر إليه نظرة نقد واستهجان جارح للشعور فى كثير من الأحيان ، فإذا تأخر زواج الفتاة فى الريف قلل هذا من قيمتها ومن شأنها وشأن أسرتها ، ووصفت بأنها (بايرة) أى فاتها قطار الزواج ولذلك يعرض عنها الخطاب مما يؤثر فى نفسيتها فتحزن وتتألم وتصبح حساسة لكل كلمة تقال عنها فى أمثالهم التى تقع على مسمع الفتاة البايرة (مثل) : "البايرة أولى بيت أبوها"

وكما لايرحم المجتمع الفتاة التى لاتتزوج .. فأنه لايرحم الرجل أيضا وكثيرا مايتحدثون عن سوء سلوكه ، ومن الأغانى التى يوجهها المجتمع الشعبى للعازب ، هذه الأغنية:

عينى على العازب عينى عليه .. طالع يبص نازل يبص خس النص ياعينى عليه

عينى على العازب عينى عليه .. اتكفى على الخص ياعينى عليه

طالع يجرى نازل يجرى اتكفى على حجرى اسم ا لله عليه..عينى على العازب عينى عليه

غاسل بايده طابخ بايده سلامة ايده اسم ا لله عليه .. عينى على العازب عينى عليه

وهناك كثير من الأغانى التى تعكس أهمية الزواج المبكر لدى القرويين ومنها هذه الأغنية:

حلوه ياواد وصغيرة ماليه عليك المندرة .. حلوه ياواد وبيضه ماليه عليك الأوضه

ويتضح من هذه الأغنية أن العروسة يجب أن تكون صغيرة ، فصغر السن من الصفات المرغوبة فى الفتاة لأن الزوج فى مثل هذه الحالة يستطيع تطبيع الزوجة وتنشئتها حسب مزاجه وحسب مايريد .

فالزواج المبكر للبنات يمثل قيمة مهمة يحرص عليها القرويون فى كثير من الحالات ، وهناك أسباب واعتبارات اجتماعية وثقافية ودينية وراء هذه الفكرة منها الحفاظ على عفة الإناث والذكور وتقوية أواصر النسب والعلاقات القرابية ومراعاة بعض المصالح المرتبطة بالأطراف المختلفة الداخلة فى هذه العلاقات (٢٠) .

وللزواج قيمة مرتفعة بالنسبة للمرأة ويتضح ذلك من خلال الاغانى والامثال الشعبية السائدة فى مجتمع البحث ، فالمجتمع لايقبل وجود المرأة فى الحياة بدون رجل ، فهو يرى أن المرأة بدون زواج ليست ذات قيمة ، ومن هنا كانت قيمة الحياة الزوجية للمرأة كبيرة جدا ، وهذه القيمة ليست وليدة العصر الحالى ولكنها ترجع إلى العصور القديمة حيث كان الزواج المبكر وتكوين الأسرة من أهم مايوعظ به الناشئ إذا تهيأ له أن يتكسب معاشه وفى ذلك يقول "بتاعحتب" لولده (إذا أصبحت كفئا فأسّس دارك وأحبب زوجتك فى حدود العرف أو عاملها بما تستحق) ثم يخصص له الهدف الرئيسى من اتخاذ الزوجة بقوله (كإنها حقل مثمر أو صالح لولى الأمر) ويضيف (من الف عام ترددت النصيحة ذاتها فى تعاليم "آنى" حكيم الدولة الحديثة حيث قال لولده "تخير لنفسك زوجة وأنت صبى لتنجب لك طفلك فإذا أنجبته لك وأنت شاب استطعت أن تثقفه) ، ومن هنا تتضح أهمية الزواج المبكر فى هذه العصور القديمة (٢١) وهناك بعض الصفات التى يجب أن يتصف بها العروسان من أهمها :

أولا : الاشادة بالأصل الطيب : الذى يعد من أهم اسس الزواج الصالح من وجهة نظر الشعب، فإذا شاء الأب أن يزوج ابنته زواجا يشرفه فى مجتمعه فلابد ان يختار من بين الخطاب ما هو أعرقهم أصلا لا من هو أكثرهم مالا (٢٢) . فيقول المثل الشعبى "خذ بنت الأصول لـ الزمان يطول" "خذ الاصيلة ونام على الحصيرة" "خذ مأصلة الجدين وحمرة

الخدين" فعندما يشرع الإنسان فى الزواج يخشه تراثه الاجتماعى على البحث عن ذات الأصل الطيب حتى يضمن إنجاب ذرية طيبة وهم يمتثلون فى هذا للفهم الدينى والعرفى العقائدى حيث يحث الدين على تخير ذات الأصل الطيب لأنه يؤثر فى الأنساب فيقول الحديث الشريف "تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس" أى تخيروا من ستحمل أولادكم لأنهم سيرثون منها، أم الفهم العقائدى فقد جرت العادة على التفاخر بالأنساب من قديم الزمان. وهناك من الأغانى الشعبية فى مجتمع البحث مايدل على اهتمام أفراده بالأصالة عند الزواج، ومن هذه الأغانى :

ياعريسنا يازين ياأبو شال حرير قبل ماتخسر ياعريسنا دوّر على الأصيل
ياعريسنا يازين ياأبو شال قصب قبل ماتخسر ياعريسنا دوّر على النسب

فالفتاة المجتمع الريفى يجب أن تتمتع بسمعة طيبة وأخلاق فاضلة لأنها صفة من الصفات التى تزيد قدرها فى هذا المجتمع . وتنهى الأغنية الشعبية الفتاة عن أى سلوك يعد عيبا ويعطل من زواجهما وتقول الاغنية

أوعى تميلى يابت أبو عباية .. وازاى أميل وانا اعمامى ورايا

أوعى تميلى يابت أبو شمسية .. وازاى اميل وانا اخوالى ميه

وتعبر هذه الأغنية عن دور الأسرة من الأعمام والأخوال فى عملية الضبط الاجتماعى لفتياتها والضبط الاجتماعى عن طريق الثواب والعقاب مقوم للسلوك الاجتماعى (٢٣) .

ثانيا : القرابة فى الزواج :

يعد زواج الأقارب ذا قيمة فى مجتمع البحث فهم يؤمنون بالمثل القائل "الضفر مايطلعش من اللحم" ويتم الزواج وفقا لنظام تفضيلى معين بمعنى أنه يفضل فى المحل الأول الزواج من أبناء العمومة ويلى الزواج من أبناء العمومة فى الأفضلية الزواج من أولاد الخئوله ومن أغانيهم :

خايف ليه والورد مالى ايديك .. خايف ليه وعروستك فى ايدك

اخذت بنت عمك حلوة وتروق دمك .. كمها فى كم دى أصل ومال ورجال

دى حلوة وتروق البال

خد ورده فى كمك ياوله .. خـــد ورده فى كمك

بدل ماتشرق وتغرب خد .. بنـــت عمـــــك

فالزواج بابن العم ان كان موجودا هو الزواج المرغوب فيه عند كل أسرة ، ويؤكد هذا المثل الشعبى "اخذ ابن عمى واتغطى بكمى" وان لم يتيسر زواج الشاب من ابنة عمه تزوج ابنة عمته أو ابنة خاله كما توضحها الاغنية ، وكلما كان الزواج داخل النسق القرابى أو داخل العائلة الواحدة كلما ارتفعت قيمته .

وليس كل الزواج فى مجتمع البحث زواج أقارب وإنما يمثل زواج الأقراب الاتجاه السائد وخاصة عند عائلات الأشراف والهوارة بمجتمع البحث ولكن هناك من الأفراد الذين يتزوجون زواجا اغترابيا أو خارجيا (أى خارج حدود النسق القرابى) فالنظرة للزواج الخارجى قد بدأت تتغير وبدأت تستساغ اكثر من ذى قبل وبخاصة عند الأفراد الذين بدأوا يعملون لمصلحتهم الفردية ويغلبونهاعلى مصلحة القرابة وعلى علاقات القرابة وهؤلاء عادة من الأفراد الذين استقلوا اقتصاديا عن أسرهم أو تحرروا فى تفكيرهم وتصرفاتهم أو تعددت علاقاتهم وكثرت اتصالاتهم بالغرباء عن طريق اتصالاتهم بالمدينة أو ببعض القرى المجاورة أو ممن سافروا للعمل بالخارج .. ومن الأغانى الشعبية التى تعبر عن أهمية الزواج من غير الأقارب هذه الأغنية :

ياأبـــو الجـــزمة والشـــــراب بنـــى .. قالولى تاخدى ابن عمك قلت يامرىّ

قالولى تاخدى ابن خالك قلت يا مرىّ .. قالوا تاخدى الغريب زغردت أنا وأمىّ

ومن الصفات المهمة التى يفضلها الأفراد فى المجتمع الشعبى عند اختيار الزوجة أن تكون بكرا (أى تفضل الأبكار) ويتضح ذلك من هذه الأغنية :

هاتوا الشبكة لبنت بنوت .. فص ذهب مع فص ياقوت

هاتوا الشبكة لبنت الختـه .. بس قولولى هتخطبـوا أمتى

هاتوا الشبكة لبنت الجـار .. كـردان لـولى سبـع أدوار

المهارة فى تأدية الأعمال ، وهى من الصفات الضرورية والمهمة التى ترفع من قيمة العروس، ويشترط فيها أن تكون ماهرة فى الطبخ ، تجيـد الأعمـال المنزليـة مـن عجـن وخـبز وغسـل وغربلة الحبوب .. وتؤكد هذه الأغنية أهمية المهارة مع الجمال :

نازلة من فوق تحلب فى الجاموسة .. يا ايديها اللماع كضى الفانوس

نازلة من فوق تحلب فى البـــــقر .. يا ايديها اللماع كضى القمـــــر

التدين وهو من أهم الأسس التى تراعى عند الاختيار فى الزوجة :

ومن الأغانى الشعبية التى توضح أهمية تدين الزوج هذه الأغنية :

لما تروح عند العروسة ابقى صلى على الرسول .. اتوضى وصلى ركعتـين دولا سـنة عن الرسول

الجمال وحسن الوجه : يعد الجما ل وحسن الوجه صفة من الصفات التـى يفضلهـا الأفـراد فى المجتمع الشعبى ، فالجمال مطلوب فى شريكة المستقبل .. ويحفل التراث الشعبى وبخاصة الأغانى الشعبية بكثير من التعبيرات والمضامين التى تبين أهميـة الجمـال فـى مجتمـع البحـث ومنها:

زينة الصبايا يازين .. خايلة فى كحل العين .. ألفين صلاة على الزين

ياأم الرموش طوال .. حاسبى علينا آمال

دنا قلبى ليهم مال .. وعلى النبى صلى

العديـــد :

يبين هذا التفسير الاوضـاع والعادات الملابسة للعديد من حيث طريقته وهى أوضاع تختلف فى المدن عنها فى الريف تبعا لما بين المدينة والقرية من فروق ، ويزداد هذا العديد حدة وانتشارا خاصة فى قرى الوجه القبلى – أى صعيد مصر .

ومن مزايا العديد ايضا انه يرسم صورة واضحة لحياة الشعب ونظمه ويعد هذا دليلاً من ادلة حيوية العديد بوصفع أدبا لتفاعله مع المجتمع الذى يوجد فيه .

فمن خلال العديد نستطيع أن نرى صورة واضحة للمسكن ومايحويه من أثاث وملابس السيدة وملابس الرجل ، ونستطيع أن نرى فيه تقاليد الشعب فى الأفراح والمآتم والأعياد ، ويبين هذا العديد كيف تتزين المرأة :

صغـيرة والعطـر فـى اكمـامك
اتعطـرى وادى الحريـم جـارك
صغـيرة والعطـر فـى كمـك
اتعطـرى وادى الحريـم جنبـك
ياصغـيرة مـن دون بنـات ناسـك
ومعدلـة حتـى فـروق راسـك
يامعدلـة مـن دون بنـات عمـك
معدلـه حتى فـروق شعـرك

ويقتصر قول العديد على النساء دون الرجال ، وحين نلقى نظره على العديد لنستوضح منه شخصية المرأة الشعبية نجد أن أهم مايميز شخصيتها مقدرتها على التصوير الفنى والتأثير العاطفى .

ومن المميزات التى يرسمها العديد للمرأة فى صعيد مصر خضوعها للتقاليد وذلك لان التقاليد خصوصا فى الريف تمحو كيان المرأة محوا وعلى الاخص فى الصعيد ، والمرأة هناك قد ورثت هذه التقاليد ونشأت فيها ، فهى أيضا مؤمنة بها خاضعة لها وتفتخر بها .

وهذه البكائية تمدح فيها الفقيدة بانها ظلت طوال حياتها لم ير جارها إلا ظلها :

. . ياجارها حلف عليها وقال .. ماشفتها فى الدرب غير زوال

وتتعدد بكائيات مجتمع البحث بحيث إنها تشتمل على كل مناسبة ، فاللصغير بكائية وللشباب بكائية وللعروس التى ماتت وهى على وشك أن تزف بكائية وللسيدة التى توفيت قبل أن تنجب أولاداً يخلفونها بكائية الى غير ذلك من حوادث الوفاة .

وكما يعتز المجتمع بإنجاب الأبناء وخاصة الذكور فإنه يحزن أشد الحزن على فقيد مات دون أن ينجب أولاداً ، وإذا كان الأبناء يشدون أزر الأب والأم فى حياتهم فهم يشدون أزرهم بالمثل عند وفاتهم . وتصور هذه البكائية حال المتوفى الذى لم ينجب أبناء ذكوراً :

كان خاطرى فى وليد بطاقيه ... سنه فى سنه يقول شعل أبويا ليا
ايا ريت ولد لبسته ملبوسه ... ايا بيت أبويا ياعمى م دوسه
ايا ريت ولد انا لبسه ... ايا بيت أبويا ياعمى م تخشه

والجدير بالذكر أن لفحوى العديد علاقة كبيرة بمركز الفقيد الاجتماعى وبأحواله الشخصية فما يقال فى الوجيه لايوجه للفقير ، فالطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها الفقيد تصور أيضا فى العديد ، فهذه البكائية توضح ذلك :

طريق الفساقى لرشها ميه ... واخلوا الطريق رجال السادة جايه
طريق الفساقى لرشها برسيم ... واخلوا الطريق رجال السادة جايين
عين الوسيعة منديل لاغطيها ... لاحسن تراب القبر يعميها

الأغانى الشعبية المتصلة بالحياة الاقتصادية :

تفرض الطبيعة نفسها بقوة على الإنسان الذى يعمل فى الأرض ، وتحتل الأرض أهمية كبرى لدى الفلاح فهى عنصر أساسى من عناصر الإنتاج الزراعى وهى عماد حياته المعيشية والاقتصادية ولذلك فقد حرص أن تشتمل أغانيه الشعبية على تعبيرات تبرز أهميتها

وتعلى من شأنها وقيمتها ، وعلى تعبيرات تحذر الأجيال اللاحقة من مغبة بيعها أو التفريط فيها ، ويساوى الفلاح بين قيمة الارض وقيمة الشرف أو العرض ويعتبرهما قيمتين متساويتين فى الدرجة والأهمية ، ويقول الفلاحون فى مأثوراتهم الشعبية (من ليس له أرض ليس له عرض) .

وتؤكد هذه الأغنية الشعبية من أهمية الارض حيث إنها تورث من الأجداد ، فيجب الحفاظ عليها وعدم التفريط فيها بالبيع أو الإهمال :

الارض أرضنا من أبونا لجدنا وبكره وبعده لأولادنا من بعدنا
عواد باع أرضه ياولاد شوفوا طوله وعرضه
ياولاد غنوله ياولاد على عرضه وطوله

وتهزأ هذه الأغنية من الشخص الذى يفرط فى أرضه بالبيع ، ومن هنا تتضح سلطة الطرق الشعبية كنموذج أساسى لسلوكيات الأفراد فى المجتمع الريفى فكل فرد باعتباره كائنا اجتماعيا يعنى بأحكام غيره على تصرفاته وسلوكه العام . ويقدس المجتمع الشعبى العمل كوسيلة وحيدة للكسب الحلال وشرف يسعى الإنسان للحصول عليه مهما أحيط به من المتاعب والمعوقات ، وهناك كثير من الأغانى المرتبطة بالعمل فى الأرض ، وتوضح مدى مايعانيه الفلاح من قسوة الطبيعة وتوضح أيضا الأدوات التى يستخدمها فى الأرض .

فى الغيط انا شغال من الصبح لحد العشية

من فاس لمحراث أنا شغال فى الشمس من غير طاقية

والساعة منهم رديه تساوى ميت مليون دولار

فى الغيط انا شغال تمثال من الصبح لحد العشية

وتؤكد هذه الأغانى الشعبية أهمية الوظيفة التى ترتبط بدخل ثابت فى مجتمع القرية فتتمنى الريفية أن ترتبط بإنسان له وظيفة أفضل من ارتباطها بالفلاح ، وتوضح هذه الأغنية ذلك المعنى :

الفـــلاح يـــا الفـــلاح　　الفـين ندامـــه ع الفـــلاح
الفـــلاح نهـــار مـــاخدنى　　ع الحصـــيرة وقعدنـــى
عطانى البطيخه وقعت منـى　　قـال خسـاره وعمـرك راح
يـــالافندى يـــالافندى　　الافنـدى نهـار مـــاخدنى
ع الســـرير وقعدنـــى　　وادانـى فـى ايـدى السـاعه
وقعـــت منـــى قـــالى　　فداكـــى يـاست المـلاح

وأكدت الأغانى الشعبية أهمية المال فقد أدرك الإنسان منذ القدم الدور الذى يمكن أن يقوم به كل من المال والثروة فى حياة البشر حيث يرفع المـال مـن قيمـة صاحبـه ويجعـل الناس تتكالب على التودد إلى صاحب المال ، وتبين هذه الاغنية ذلك المعنى :

اللـى معـاه مـال كـل النـاس تحايلـه　　واللـى بـلا مـال منـين تجيلـه نـاس تحايلـه
ا لله معـاه مال على ايـده الرجال تبوس　　اللى بـلا مـال على رأسه الرجال تدوس

ملعونه ابوها الفلوس بتخلى الجبان راجل

وعبرت الاغانى الشعبية عن البخيل ، ويوضح هذا الموال ذلك :

يـاجعل مـال البخيـل يـروح فـى جريمـة　　لغســـل رمتـــه ولا زار نبينـــا
يـــا شـــايل الجنيـــه مـــالك بشـــيله　　انفـــق وارزق مـــن غـــيره
يـــا شـــايل الجنيـــه مـــالك بدســـه　　انفق على النبى وارزق مـــن خلفـــه

وتتضمن الأغانى الشعبية كثيرا من التعبيرات والمضامين الاجتماعيـة التـى تعبر عـن هجرة أهالى الريف فى صعيد مصر من القرى إلى المدن أو خـارج مصـر فـى الـدول العربيـة التى تستقبل العمالة المصرية ، وتعد الهجرة من الريف إلى الحضر من بين الظواهـر المصاحبـة لظاهرة النمـو الحضـرى السـريع وهـى ظـاهرة سـكانية لهـا أثرهـا علـى الهيكـل الاجتمـاعى والاقتصادى والثقافى والديمجرافى للمجتمع .

ومن المواويل التى تؤكد تأثير الهجرة على الشباب هذا الموال :

عمـــرى ضـــاع فـــى بـــلاد بعيـــدة　　شـــفت فيهـــا ســـنين شـــديدة
لـــــاضعت وضـــــاع شـــــبابى　　شـــبت وبقيـــت علـــى الحديـــدة
فـــى يـــوم جيـــت بنـــت جميلـــه　　حطمتنـــــى بكـــــل حيلـــــه
لـــــا شطـــب كـــل مـــــالى　　يـــومها طلعـــت مـش أصيلـــه

الاغانى الشعبية والحياة الدينية :

تحظى الممارسات والنشاطات الدينية بنصيب وافر من اهتمامات الناس فى صعيد مصر، فقد عبر المجتمع الشعبى فى كثير من أغانيه الشعبية عن هذه الاهتمامات ، ففى كثير من الأحيان تتصدر التعبيرات الدينية مطلع الأغنية الشعبية ، وفى أحيان أخرى تشير إلى الأماكن المقدسة وتصف الشعائر والطقوس الدينية وهذا النمط من الأغانى لايفارق الناس حتى فى مناسبات الزواج ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الدين يتخلل أوجه الحياة الاجتماعية المختلفة ، ويلعب فيها جورا بارزا ومهما .

ويلاحظ من التعبيرات والمضامين الدينية التى تشتمل عليها الأغانى الشعبية أنها تقوم بوظيفة تعليم النشء وتدريبه على ممارسة الطقوس والشعائر الدينية المختلفة من صلاة وصيام وحج ، وغالبا ماتقوم الأم بترديد هذه الأغانى فى مسمع أبنائها ومن هذه الأغانى :

كنـت فـين يـامحمد أمـك بتـدور عليـك　　كنت فى الجامع بصلى ا لله ينور عليك
ياصـــايم رمضـــان يـــاموحد ربـــك　　كلبتنـا البيضـا حتبوسـك مـن خـدك
يافاطـــر رمضـــان ياخاســـر دينـــك　　كلبتنـا الســـودا حتقطـــع مصـــارينك

وتكثر الأغانى الشعبية التى تصف الحج كفريضة من الفرائض التى لها أهمية خاصة فى المجتمع الشعبى ، وهذا الوصف يكون ممزوجا بالخيال إلى حد ما ، فيصفون فى أغانيهم بيت ا لله الحرام وقبر الرسول والقبة الخضراء ويصفون الطريق إلى قبر الرسول على أنه جنة خضراء، وهناك وصف خاص للحاج وصفاته وركوبه للطائرة أو الباخرة وايضا وصف لقدومه ومن هذه الأغانى الشعبية نرى أهمية هذه الفريضة :

يـــازايرين النبـــى أدونـــا أمـــارة فاطنـــه شـــرق ابوهـــا راخيـــة الســـتارة
يـــازايرين النبـــى أدونـــا الوصيفـه فاطنـــه شـــرق ابوهـــا راخيـــه القطيفـــه

صلوا ع النبى صلـــوا جملـه يـا حـــاضرين
صـــلاة النبى حلـــــوة تفرح القلب الحزين

تحـــت راس النبـــى مخـــده قطيفـــه عايـــز أزور النبـــى والكعبـــة الشريفـه

وتلعب الحكايـات المتصلـة بكرامـات الاوليـاء والتـى تتناقلهـا الأجيـال فـى مجتمعنـا المصرى جيلا بعد جيل دورا بارزا فى الحفاظ على التراث الدينى الشعبى وضمان استمرارية الاعتقاد فى الأولياء وتكريمهم كما أن هذه الحكايات تأتى معبرة عن الوجدان الشـعبى مـن حيث إن مضامينها تتعلق بالناس فى معاشهم وأرزاقهم وحياتهم الاجتماعية (٢٤) .

ومن الخرافات التى يعتقد الناس فى قدرتهـا علـى الشـفاء مـن العلـل والأمـراض أو وقايتهم مما قد يحل بأجســادهم مـن مختلـف الاعـراض والآلام أو جلـب الحـظ وفـك عقـدة العانس – طلاسم خاصة تكتب بأحبار معينة وأحيانا تخط هذه الطلاسم على قطعة من جلـد الحيوان وتطوى بطريقة خاصة وتصنع على هيئة حجاب ، وأحيانـا يكتـب فيهـا اسـم الله ، وتؤكد الأغانى الشعبية على مايسود المجتمع الشعبى من أفكار خاصة بذلك الشأن ، ومنهـا هذه الأغانى :

يـــاعجلاتى يـــاولا يـــاعجلاتى لاعملـك عمـــل يـاولا تيجـى لا لاتـى
يـاابو بســكلته يـاولا يـــابو بســكلته لااعملـك عمـل يـاولا تيجى حتـه حتـه
يـــاابو عبايـــا يـــا ولا يـــا ابوعبايـــه لاأعملـك عمـل يـاولا تجـرى ورايـــا
يـــامهلبيـــه يـــاولا يامهلبيـــــه أنـا خـــدت الـولا عشـــق وغيـــــه

خطبنى واحد من برديس يعملى السحر على القميص

ويجيبنى يجرى ياواد

وخطبنى واحد من طنطا يعملى السحر على الشنطه

ويجيبنى يجرى ياواد

ويرتبط العرف الشعبى بالعقيدة الدينية والاتجاه الغيبى ويعبر عن القيم الأخلاقية التى تسود المجتمع ، ففى المجتمع المتدين يكون للقسم شأن كبير ويصعب على الفرد أن يقطع على نفسه قسما ويحنث به ، لذلك كان فى كثير من الصفقات يكون الاتفاق بين الطرفين بالقسم، فمن يحنث با لله فجزاؤه ماينال من احتقار من أفراد المجتمع الشعبى .

والعرف قانون عام اتفقت عليه الجماعة ، والتزمت باحترامه فإن خرج أحد عليه يكن جزاؤه اللوم والازدراء من الجماعة ، ولاشك أنه منشأ ليرضى حاجات أساسية للجماعة .

الخاتمة :

تعد الأغنية الشعبية نمطا من أنماط التعبير الشعبى يؤدى وظيفة خاصة فى حياة الشعب فهى تجسيد لعقل المجتمع وميوله الفكرية والأخلاقية وهى تعبير عن وجدان الجماعة الشعبية وتعلى من شأن مثلها العليا وتدعوا إلى الالتزام بها كما تكفل للمعتقدات الدينية أن تظل مزدهرة قوية فى عقول الأفراد ووجدانهم وتتضمن ارشادات مباشرة وغير مباشرة موجهة إليهم ترتبط بالجوانب المختلفة فى حياتهم .

وتعد الأغانى الشعبية عنصرا حيويا لاغنى عنه للجماعات الشعبية فهى ليست مجرد كلام منظوم أو انغام ممتعة وانما هى فى حقيقة الأمر قوة فاعلة تكونت نتيجة خبرات عميقة متراكمة بذل فيها الجهد الكثير كما أنها ليست صورا جميلة أو عادية أو انعكاسات وجدانية أو عقلية للحياة فحسب وإنما هى أيضا محصلة عملية للأفكار والقيم والمعتقدات والآمال والعلاقات بالإضافة إلى ماتحققه من متعة وما تقوم به من تخفيف للأعباء المقاه على كاهل الإنسان وما تستشيره من مشاعر جمالية .

وتحافظ الأغنية الشعبية على المأثور والموروث وتدعمه فهى عندما تحتفظ به وتؤديه وتنقله من جيل إلى جيل إنما تمنحه الحياة والقيمة وفى مجتمع كالمجتمع الشعبى فى صعيد

مصر يمكن أن نلاحظ وجود ارتباط وثيق بين أغانينا الشعبية وبين السلوك الفعلى للأفراد والقيم التى يتحلون بها ويحافظون عليها ولعله من الصعوبة بمكان كبير أن نجد أغنية شعبية حقيقية منفصلة تماما أو مقطوعة الصلة بثقافة هذا المجتمع عامة ذلك أن هذه الأغانى الشعبية تلعب دورا مهما فى تدعيم ثقافة المجتمع وتبرز أنماط السلوك التى يحتفى بها أو التى يستنكرها ويدعوا الى احترام تقاليده ومعتقداته أو بنائه الاجتماعى بصفة عامة .

ومن خلال دراستنا للأغنية الشعبية نجد اهتماما واضحا بإنجاب الأطفال حيث لايقر الأدب الشعبى – شأن العرف العام – العقم أو تحديد النسل وإنما يعنى الزواج والإنجاب وكثرة التدين ، وهذا جميعا وثيق الصلة بالصعوبة من حيث الظاهر ولكنه فى الواقع من مقتضيات الحياة الأسرية الزراعية حيث قد أصبح الرجل فى حاجة إلى ايد عاملة وخلف يرثه والأم فى حاجة إلى بنات يسعفنها وتجد فيهن سلواها .

وتعبر عن ذلك الاغانى الشعبية حيث تعنى بمسالة كثرة الذرية ولاتجد واحدة منها تحبذ قلة الابناء فان أهم ما يعزز مركز المرأة فى بيت زوجها بعد ان تختار وفقا للقيم الاجتماعية التى اصطلح عليها المجتمع الشعبى إنجابها للأبناء ولبنين منهم بصفة خاصة ، فالذكورة فى هذه الثقافة تعنى القوة والسيطرة والسيادة والرئاسة ، أما الأنوثة فتعنى الضعف والخضوع والطاعة والاستسلام لسيطرة الرجل سواء كان أبا أم أخا أم زوجا أم ابنا وهو كل شئ فى حياة المرأة وحياتها بدون الرجل لاقيمة لها لأنها لاتكتسب قيمتها الاجتماعية إلا من خلاله كما تكتسب قدرا كبيرا من القوة بانتسابها إلى الرجل .

والأغانى الشعبية هى إحدى الوسائل المهمة التى يحافظ بها المجتمع على ثقافته واستقراراها بما تغرسه فى نفس الفرد من قيم ومثاليات وما تتيحه لها من متعة وما تكافئه عليه بالمديح إذا اتسق سلوكه مع السلوك الذى ينشده المجتمع ، فالقيمة الاجتماعية واضحة من خلال الأغانى الشعبية حيث تحث الزوجة علىتحمل متاعب ومصاعب الحياة الزوجية والصبر على الزوج مهما كانت قسوته ، وعدم الحنين لبيت الأب نتيجة لقيمة الزواج المرتفعة يهوّن مصاعب الحياة .

وتختار الزوجة فى المجتمع الشعبى وفقا لمجموعة من القيم الشعبية اصطلح عليها المجتمع الشعبى فى مصر ومن أهمها الاصالة ، فيعد الاصل الطيب من أهم أسس الزواج الناجح من وجهة نظر الشعب فإذا أراد الأب أن يزوج ابنه زواجا يشرفه فى مجتمعه فلابد أن يختار من بين الخطاب من هو أعرقهم أصلا لا من هو أكثرهم مالا . والزواج من الأقارب له أهمية كبرى فإن العم مقدم على كافة طلاب الزواج من الفتاة لأن له عليها حقا عرفيا (ابن عمها ينزلها من فوق ضهر الحصان) يشيرون بذلك الى أنه يستطيع أن يأخذها زوجة له ولو كانت فى طريقها إلى بيت الزوجية والمثل يقول (اخد ابن عمى واتاوى فى كمى) وذلك التفضيل لأن ابن العم يلتزم بزواج البائرة "حماية للعرض" وهو كالاخ مطالب بالدفاع عن الشرف .

والعصوبة قائمة فى الذهن الشعبى على وجود الرجال وأما النساء فلا وزن لهن ففى عادات الميلاد والسبوع وفى الزواج والوفاة احتفاء شديد بالذكور أو بكاء شديد عليهم .

وإذا كنا نجد فى الأغانى والأمثال ما يعارض المعانى السابقة سواء فى مؤدى درجات العلاقة العاطفية أم تفضيل البنت على الولد أم فى الدعوة إلى الابتعاد عن الأقارب فإن هذه المأثورات لاتعدو وأن تكون عكسا للعلاقات والعادات القائمة تجرى فحسب وتغنى عند التشاحن أو فى الأمور الشاذة أو لعلها تصوير لروح المدينة الذى يجرى فى عكس اتجاه روح القرية .

والأغانى الشعبية تحفل أيضا بما يعبر عن استحسان المجتمع ورضاه عن أولئك الذين يراعون التقاليد ويحترمون الأعراف السائدة ولايخرجون عليها كما تمتدح أنماط معينة من السلوك فتحث الزوج بانه يجب أن يرتبط بالفتاة ذات السمعة الطيبة فهناك مجموعة من المحظورات على سلوك الفتاة ومنها "عدم الضحك" وليس معنى ذلك أن يحل محله العبوس والتقطيب ولكن المقصود ألا تبتذل الفتاة نفسها حتى تظل محتفظة باحترام الجميع ولايطمع فيها الذى فى قلبه مرض كما أن التحذير من التبرج والخلاعة أيضا يتضمن رغبة المجتمع فى

تأكيد احترام التقاليد والإعلاء من شأن الاعتدال والموازنة بين التزين وبين القيام بالواجبات المطلوبة حتى لا يطغى هذا على ذاك .

فإذا تجاوزنا أسس الزواج الصالح كما تبينها الأغانى الشعبية إلى قيم اجتماعية أخرى تفصح عنها تلك الأغانى فإننا نجدها تعبر عن اعتزاز الجماعة بأهمية المهر والارتفاع بقيمته وهى لاتخفى رأى الشعب فى أن المهر يعد ثمنا لشراء العروس .

ولننظر إلى عادات الزواج كما تصورها الأغنية الشعبية فنجد عادة تبادل الهدايا ونحن نلاحظ أنها واحدة من اثنين فإما أن تكون شيئا يلبس أو شيئا يؤكل وليس من المألوف تبادل هدايا غير ذات منفعة مباشرة فى الحياة اليومية وقد أشار "أرنولد فان جنب" أن تبادل هذه الهدايا يرجى منها التفاؤل وكذلك يقصد به أن تكون معاونة مادية ملموسة .

ومن عادات الزواج أيضا تقديم النقوط إلى العريسين قبل فض غشاء البكارة وبعده فبعد فض البكارة وعلى ملأ من النساء تجمع النقوط على شرف العروسة وكثيرا مايحمل أشقاؤها "المحرمة" الملطخة بالدم على أطراف عصيهم أو بنادقهم ويدورون هم وأبناء عمومتهم فى دروب القرية يعلنون أنها بكر شريفة وذلك بأغان يرافقها الرقص والتصفيق وإطلاق النيران.

وبعد الزواج تسجل الإغانى الشعبية ما يجرى فى العائلة بين الزوج وآل زوجته من ناحية أخرى أو العكس وتقيم لهذا الخصام التقليدى قواعد من الأمثال والأغانى ، فثمة تحبيذ لأن تستخدم الزوجة لسانها فتقول الأم لابنتها "ديابتى خايفة عليكى من العيله قالت لسانى معايا" فتذكر الأغانى الشعبية التى تقال عندما يحدث شجار بين الزوجة والحماة فتغنى الزوجة وتقول :

تعالى جارى وأقولك .. وامسح دموعى فى كمك
سبب مرارى يكون أمك
تعالى جارى وأشكيلك .. وامسح دموعى فى منديلك
سبب مرارى يكون مراسيلك

أمـك عاملـة مصليـة .. وهى شيخة الحرامية

حاطه جنيـه على البوفيه .. محدش اخده الا هيه

حاطه الريحه على التسريحة .. محدش خدها الا هيه

وبالنسبة للوفـاة فنجـد أن الأدب الشـعبى يجعـل الوفـاة بمكـان علـه يفـوق مـايفرده للزواج والميلاد وتبلغ البكائيات الجنائزية درجة من التجويد والصنعة الشعرية ومـن ابتـداع المعنى ماليست تبلغه أغانى المناسبات العائلية السارة .

فهناك بكائيات لكل فرد فـى المجتمـع بكائيـة للشـاب وبكائيـة لـلأب وبكائيـة لـلأم والأخت والأخ والعروس ... الخ . إن البكائيـات مـن أكـثر فنـون الأدب الشـعبى إظهـارا للملائمة بينه وبين العرف اخلاقيا كان أو اعتقاديا والبكائية تعمق وجـدان قارئهـا بكلمـات مختارة وصورها البسيطة المنتزعة من واقع االحياة .

وتوضح بكائيات مجتمع البحث أهمية الذكورة أيضا فى الوفاة ، وترتبط البكائيـات بمركز الفقيد الاجتماعى وتصور شخصية الميت وعاداته .

ويتضح أيضا من دراسة البكائيات فى مجتمع البحث أن ذلك الأدب فـى غالبـه مـن صنع المرأة لا الرجل أى أنها تمثل لنا مشاعر مضغوطة اختمرت فى نفسية المرأة حقبة طويلـة فأصبحت حية تعقد للبكاء تستقطب ميراثا عريضا من الضغط فلا تبكى الميت بقدر ماتبكى نفسها وتعدد حاجتها إليه أكثر مما تعدد نواحى الفاجعة له .

وليس أمراً شاذا اذاً أن تكون البكائيات هى فـن التسـرية لـدى المـرأة كلمـا خلـت لنفسها أو همّت إلى بعض شئونها .

وهذا ما توصل إليه البحث والخاص بدورة الحياة مـن الميـلاد والـزواج الوفـاة ، أمـا فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية فى مجتمع البحث فتوضح الأغـانى الشـعبية أهميـة الأرض فـى حياة الفلاح وتهزأ الأغانى من الشـخص الـذى يفـرط فـى أرضـه بـالبيع ، وتعمـق الأغـانى الشعبية مفهوم الكسب الحلال عن طريق العمل الشريف ولاتغفـل الأغـانى الشـعبية الأجـر القليل الذى يناله العامل الزراعى ولاتقر النصيب الـذى يحصـل عليـه الفـلاح فتـأتى أغـانى

الزواج وتستنكر الزواج من هذا الجمهور الفقير البائس وتختار الفتاة موظفا له ماهية ودخا ثابت .

وعبرت الأغانى الشعبية عن الهجرة للعمل بالخارج فى مجتمع البحث كوسيلة من وسائل تحسين دخل الفلاح .

أما بالنسبة للحياة الدينية فنجد أن الأغانى الشعبية تقوم بوظيفة مهمة فى توجيه سلوك الفرد وأفكاره ومعتقداته فهى تتضمن خلاصة المعرفة التى ينبغى أن يتصرف على أساسها فى كثير من جوانب حياته فالأغانى تصنع الناس كما يصنع الناس الأغانى والمستمعون الذين يجلسون لسماع الأغانى وللمشاركة فى أدائها والتعديل أو التغيير فيها إنما تتسرب إلى وجدانهم وعقولهم دون أن يدركوا معارف وخبرات لاتقل شأنا عما يتلقاه الإنسان فى معاهد التعليم فتقوم الأغانى الشعبية الدينية بتعليم أفراد المجتمع وتهذيبهم فهناك أغان لتعليم الأطفال الصلاة والصيام والقيم الدينية والأمانة والطاعة ... الخ .

وتحتوى الأغانى الشعبية على وصف مفصل لأحدى الشعائر الدينية أو الميادئ أو المعتقدات التى ترتبط بالدين والتى أصبحت أمرا مستقرا فى نفوس الناس كجزء لا يتجزأ من إيمانهم بالدين ذاته فالأغانى التى تقال فى مناسبة الاحتفال بالاستعداد لأداء فريضة الحج – على سبيل المثال – تسير خطورة خطورة مع الإجراءات المختلفة المرتبطة بالسفر ذاته وأداء الفريضة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والعودة ، وما يحيط بذلك من مشاعر وما يرتبط به من متقدات دينية وغيرها .

والأغانى الشعبية الدينية فى مجتمع البحث تحتل مكانة رفيعة فى نفوس الناس سواء لمضمونها أم لارتباطها بجوانب حياتهم المتعددة لأسلوبها الموجز وبنائها البسيط ومن ثم فإن لها أثرا كبيرا فى تحقيق الضبط الاجتماعى الذى يرجوه المجتمع فهى تعبر عن المبادئ الأخلاقية للجماعة كالأمانة والصدق والكرم والشجاعة وبذلك تقدم معايير يمكن على اساسها تقدير قيمة السلوك – وتقويته إذا دعت الحاجة إلى ذلك طبقا للعادات المرعية والتقاليد السائدة فإذا اختلف الناس أو تعارضت أهدافهم واذا شكا بعضهم من الظلم

الواقع عليه فان هناك دائما أعينا لمواجهة أسباب السخط ودواعى الألم للتخفيف عن الأفراد وتيسير السب أمامهم للتغلب على عوامل الإحباط وعدم الرضا وعدم القدرة على التكيف مع الواقع الذى يعيشونه بأطره المختلفة وتهيب بالفرد الذى قد يسخط على سلوك غيره ويشعر بعدم الرضا لما يلقاه من جحود ونكران أن يتقبل حقيقة أن هناك اختلافا بين الناس ولكل منهما سلوكه وأخلاقياته ثم يشفع ذلك بتأكيد أنماط معينة من السلوك لكى يعيد التوزان المفقود .

وهكذا نرى فى ضوء ما تقدم أن الأغانى الشعبية إحدى الوسائل المهمة التى يحافظ بها المجتمع على ثقافته واستقرارها بما تغرسه فى نفس الفرد من قيم ومثاليات وما تتيح له من تقدم وما تكافئه عليه بالمديح إذا اتسق سلوكه مع السلوك الذى ينشده المجتمع وما تذره به عند الانحراف عن المثال وما تقدمه من طرق يستطيع بها أن يتخلص من معاناته اليومية وإحساسه احيانا بالظلم وأن يتغلب على هذه المعاناه وان يواجه ذلك الظلم .

ثم هى تصور رائع دقيق لكل شأن اجتماعى واقتصادى ودينى وسياسى من شئون المجتمع

هوامش البحث

(١) أحمد الرباعية : المجتمع الأردنى من خلال أغانيه الشعبية ، المجلة الاجتماعية القومية – المركز القومى للبحوث الاجتماعية – المجلد السادس والعشرين ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٩ ، ص٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص٦٧ .

(٣) فتحى عبد الهادى الصفتاوى : التراث الغنائى المصرى ، الفلكلور ، سلسة كتابك ، العدد ١٦١ ، القاهرة: دار المعارف ١٩٧٥ ، ص٦ .

(٤) محمد الجوهرى : علم الفولكلور – دراسة فى الانثربولوجيا الثقافية – الجزء الأول ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٧ ، ص٣١ .

(٥) أحمد على مرسى ، الأغنية الشعبية (مدخل الى دراستها) ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٣ ، ص٢٥ .

(٦) صفوت كمال ، دراسة فولكلورية نحو خطة علمية لدراسة الأغانى الشعبية العربية ، حلقة العناصر المشتركة فى المأثورات الشعبية فى الوطن العربى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٣– ٢٠ اكتوبر ١٩٧١ ، ص٤٦١ .

(٧) نبيلة ابراهيم سالم ، اشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، ط٣ ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص١٧٩.

(٨) أحمد أبو زيد وآخرون ، دراسات فى الفولكلور ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٢ ، ص٣١٠ .

(٩) أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص٦١ .

(١٠) المرجع السابق ، ص٦١ .

(١١) أحمد ابو زيد وآخرون : مرجع سابق ، ص٢٣٥ .

(١٢) عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص١٧ .

(١٣) محمد الجوهرى وآخرين : الطفل وتنشئته الاجتماعية ، ط أولى ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩١ ، ص١٩ .

(١٤) محمد الجوهرى ، مرجع سابق ، ص٢٠ . ابو البنات مرزوق – اللى ماعندوش بنات ما يعرفوش الناس أمتى ما مات

(١٥) سيد عويس ، حديث عن المرأة المصرية المعاصرة "دراسة ثقافية اجتماعية" المركز القومى للبحوث الاجتماعية" ، طبعة أولى ، ١٩٧٧ ، ص٦٩ .

(16) Judith H. Readings on The Payeh of Woman , Harper and Row Publishers - New-York , 1972 , p. 212 .

(١٧) محمد الجوهرى وآخرون : مرجع سابق ، ص٤٤ .

(١٨) محمد شفيق غربال وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية .العصر الفرعونى) المجلد الأول ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، مكتبة النهضة المصرية ، ص٥٣٣ .

(١٩) نبيلة ابراهيم ، الفنون القولية الخاصة باحتفالات (الميلاد – الزواج – الانجاب) فى مصر ، حلقة العناصر المشتركة فى المأثورات الشعبية – مرجع سابق ، ص٢٥٣ .

(٢٠) علياء شكرى وآخرون : المرأة فى الريف والحضر ، دراسة لحياتها فى العمل والاسرة ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨ ، ص١٥٦ .

(٢١) عبد العزيز صالح ، التربية والتعليم فى مصر القديمة ، مرجع سابق ، ص١٢ .

(٢٢) نبيلة ابراهيم ، اشكال التعبير فى الأدب الشعبى ، ط ثالثة ، مكتبة غريب ، ١٩٨١ ، ص٢٣٨ .

(٢٣) حسن الساعاتى ، علم الاجتماع القانونى ، الانجلو المصرية ١٩٦٨ ، ص٦٥ .

(٢٤) حسن الخولى ، الريف والمدنية فى مجتمعات العالم الثالث ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧ ، ص١٤٠ .

المراجـــع

احمد أبو زيد وآخرون : دراسات فى الفولكلور ، القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٢ .

أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصريـة ، القـاهرة ، لجنـة التـأليف والترجمـة والنشر، القاهرة : ١٩٥٢ .

أحمد الربايعة : المجتمع الاردنى من خلال اغانيه الشعبية ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركـز القومى للبحوث الاجتماعيـة ، المجلـد السـادس والعشـرين ، العـدد الاول ، يناير ، ١٩٨٩ .

أحمد على مرسى : الاغنية الشعبية (مدخل الى دراستها) القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٣ .

حسن الساعاتى : علم الاجتماع القانونى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨ .

سيد عويس : حديث عن المرأة المصرية "دراسة ثقافيـة اجتماعيـة" ط أولى ، المركـز القومـى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٧٧ .

صفوت كمال : دراسة فولكلورية نحو خطة علمية لدراسة الاغانى الشعبية العربيـة ، حلقـة العناصر المشتركة فى الماثورات الشعبية فى الوطن العربـى ، المنظمـة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم ١٣ - ٢٠ اكتوبر ١٩٧١ .

عبد العزيز صالح : التربيـة والتعليـم فـى مصـر القديمـة ، القـاهرة : الـدرا القوميـة للطباعـة والنشر ، ١٩٦٦ .

فتحى عبد الهادى الصفتاوى : التراث الغنائى المصرى ، الفلكولور ، سلسلة كتابك ، العدد ١٦١ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٥ .

علياء شكرى وآخرون : المرأة فى الريف والحضر ، دراسة لحياتها فى العمل والأسـرة ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨ .

محمد شفيق غبريال وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى) المجلد الاول ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .

محمد الجوهرى وآخرين : الطفل وتنشئته الاجتماعية ، ط أولى ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩١ .

نبيلة ابراهيم : اشكال التعبير فى الادب الشعبى ، ط ثالثة ، القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨١.

ـــــــــ : الفنون القولية الخاصة باحتفالات الميلاد والزواج والوفاة ، حلقة العناصر المشتركة فى المأثورات الشعبية فى الوطن العربى ، المنظمة العربية للتربية والتقارير والعلوم، القاهرة : ١٩٧١ .

Judith H. Readingson The Payeh of Woman, Harper and Row Publishers - New-York , 1972 . p. 212 .